

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عِبْرٌ مِنْ حَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ، وَالْقُدْرَةِ وَالْجَبْرُوتِ، الْمُنْفَرِدِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، الْمُتْفَرِّدِ بِالْكَمَالِ وَالْأُلُوْهِيَّةِ، سُبْحَانَهُ يُسَبِّحُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَنْطِقُ بِحَمْدِهِ كُلُّ حَيٍّ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ مِنَ الْحَمْدِ وَأُنْتِي عَلَيْهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَرَاقِبُوهُ، وَامْتَثِلُوا أَوْامِرَهُ وَلَا تَعْصُوهُ، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(١)، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحَيَاةِ أَنْ يُنَبِّهَ عِبَادَهُ عَلَى آيَاتِهِ فِي الْكَوْنِ وَمَا بَثَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَمَا بِهَا مِنْ نُجُومٍ مُنْتَشِرَةٍ وَكَوَاكِبٍ مُزْدَهَرَةٍ، تَجْرِي بِنِظَامٍ حَكِيمٍ وَدَقِيقٍ، وَفِي خَلْقِ الْأَرْضِ وَمَا بِهَا مِنْ جِبَالٍ وَأَشْجَارٍ، وَأَنْهَارٍ وَبِحَارٍ، وَمَا يَتَعَاقَبُ فِيهَا مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٌ تُشْرَحُ لِلْإِنْسَانِ حَقِيقَةَ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَعَظِيمِ الصَّنْعَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَلْيَلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢)، إِنَّ هَذَا الْكَوْنَ كُلَّهُ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَيَنْطِقُ بِقُدْرَتِهِ

(١) سورة المائدة / ٣٥ .

(٢) سورة البقرة / ١٦٤ .

وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَالْإِنْسَانُ أَمَامَ هَذِهِ الْآيَاتِ مَدْعُوٌّ إِلَى هَذَا التَّسْبِيحِ، وَمُخَاطَبٌ بِلِسَانِ الْقُدْرَةِ الَّتِي تَرَسُمُهَا مَظَاهِرُ الْكَوْنِ أَمَامَ عَيْنِيهِ أَنْ يُلْهَجَ بِالذِّكْرِ وَالتَّعْظِيمِ لِلَّهِ، وَأَنْ يُعْلِنَ الْعُبُودِيَّةَ وَالْخُضُوعَ لَهُ قَائِلًا: سُبْحَانَكَ جَلَّتْ قُدْرَتُكَ، وَعَظُمَ سُلْطَانُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَا، وَلَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِذَا كَانَتْ آيَاتُ اللَّهِ تَعَالَى الْمَنْظُورَةَ وَاضِحَةً لِلْإِنْسَانِ، لَا يَجِدُ أَمَامَهَا سِوَى أَنْ يُسَبِّحَ بِحَمْدِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ لِلَّهِ آيَاتٍ أُخْرَى فَوْقَ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى التَّصَوُّرِ، آيَاتٍ خَارِقَةً لِلْعَادَةِ، تَتَوَقَّفُ مَعَهَا سَاعَاتُ الزَّمَنِ، وَتَخْرُجُ فِي الْحُسْبَانِ عَنْ مَقَابِيصِ الْبَشَرِيَّةِ وَمَفَاهِيمِهَا، آيَاتٍ يُرَادُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقِفَ أَمَامَهَا مُصَدِّقًا دُونَ شَكٍّ، وَمُؤْمِنًا دُونَ رَيْبٍ، وَمُسَبِّحًا بِقُدْرَةِ اللَّهِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا وَلَا نِهَآيَةَ، أَمْثَالُ هَذِهِ الْآيَاتِ الْعَجِيبَةِ نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَبِّحُ فِيهَا لِنَفْسِهِ وَيَمَجِّدُ ذَاتَهُ جَلًّا وَعَلَا، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ سَبَّحَ أَمَامَهَا بِحَمْدِ اللَّهِ فَإِنَّمَا يُسَبِّحُ مُؤْمِنًا بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِجْمَالِ، وَمُسَلِّمًا لِلَّهِ تَعَالَى بِقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ إِيقَانًا وَتَصَدِيقًا. وَآيَةُ الْإِسْرَاءِ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي سَبَّحَ اللَّهُ فِيهَا لِنَفْسِهِ جَلًّا وَعَلَا، وَاخْتَزَلَ فِي لَفْظَةِ التَّسْبِيحِ هَذِهِ مَظَاهِرَ الْقُدْرَةِ الْعُلْيَا الَّتِي نَقَلَتْ جِسْمًا هَاجِعًا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى عَوَالِمِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَأَبْصَرَ بِهَذِهِ الْقُدْرَةِ آيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى فَقَالَ جَلًّا وَعَلَا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ، مِنْ أَيْنِئْنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)، وَقَدْ تَكَرَّرَ مَعْنَى التَّسْبِيحِ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، فَاسْتَعْرَقَ آيَاتُهَا وَأَحْدَاثُهَا، وَهِيَ تَذَكُّرُ الْإِنْسَانَ بِهَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمِ، وَتَخْبِرُ عَنِ اشْتِرَاكِ الْكَوْنِ كُلِّهِ فِي الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٢)، ثُمَّ اخْتِثَمَتْ آيَاتُهَا بِالتَّأَكِيدِ عَلَى هَذَا

(١) سورة الإسراء / ١ .

(٢) سورة الإسراء / ٤٣-٤٤ .

الْمَعْنَى نَفْسِهِ، فَوَضَعَتْ النَّاسَ أَمَامَ الصَّيْغَةِ اللَّائِقَةِ بِجَلَالِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُلْهَجَ بِهَا لِسَانُ الْعَالَمِينَ: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ (١).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ تَجَلَّتْ آيَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِهَذِهِ الْقُدْرَةِ الْخَارِقَةِ لِتَمْنَحَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَاحَةً نَفْسِيَّةً بَعْدَ الْعَنَاءِ الطَّوِيلِ، وَتَتَقَلَّ الْجِسْمَ الْمُتَعَبَ مِنْ عَنَتِ الْمُكَابِرِينَ إِلَى عَالَمِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَتُحَدِّثَ تَعَانُقًا مَعَ أَصْوَاتِ الْمُسَبِّحِينَ لِلَّهِ الَّذِينَ لَا يَفْتُرُونَ، وَمَعَ جُهُودِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ خَطُّوا طَرِيقَ الْهَدَايَةِ إِلَى اللَّهِ بِدِمَائِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ، دُونَ أَنْ يَصْمُتَ لَهُمْ صَوْتُ أَوْ يَتَوَقَّفَ لَهُمْ نَشَاطٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْرُوكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ، وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَمُ نَصْرًا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأَمْسَلِينَ ﴾ (٢)، نَعَمْ لَقَدْ عَانَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبِيلَ الْإِسْرَاءِ مُعَانَةً شَدِيدَةً مِنْ قَبْلِ الْمُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ، وَخَاصَّةً عِنْدَمَا تُوفِّيَ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَزَوْجُهُ خَدِيجَةٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، فَفَرَّرَ أَنْ يَتَّجِهَ إِلَى الطَّائِفِ لَعَلَّهُ يَجِدُ هُنَاكَ مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهُ، وَيَنْصُرُ رِسَالَتَهُ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ كَانَ بِخِلَافِ مَا يَتَوَقَّعُ؛ فَقَدْ وَقَفَ أَوْلَاكَ فِي وَجْهِهِ وَقُوفًا قَبِيحًا، وَسَلَطُوا عَلَيْهِ الصَّبِيَّانَ وَالسُّفَهَاءَ، يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى سَالَ دَمُهُ الشَّرِيفُ عَلَى تِلْكَ الرَّمَالِ الشَّاسِعَةِ وَهُوَ يَخْطُ ظِلْمَ الْإِنْسَانِ لِلْإِنْسَانِ، لَقَدْ كَانَتْ لَحْظَاتٌ - عَلَى قِصَرِهَا - شَدِيدَةَ الْوَقْعِ عَلَى نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ، تُمَثِّلُ قِمَّةَ الْإِيذَاءِ لَهُ ﷺ، يَتَضَحُّ ذَلِكَ فِي سُؤَالِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عِنْدَمَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ - أَيِ غَزْوَةِ أُحُدٍ - ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ - وَهُوَ أَحَدُ مُشْرِكِي

(١) سورة الإسراء / ١١١ .

(٢) سورة الأنعام / ٣٣-٣٤ .

الطائف - فلم يُجِبي إلي ما أردت؛ فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب - وهو اسم مكان بين مكة والطائف - فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني؛ فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم؛ فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - أي الجبلين -؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً))، لقد كان مع هذا المعنى الرحيم الذي أجاب به الملك لا يزيده الإيذاء سوى الحرص على رضا الله تعالى، فلا يهمله الناس وما يفعلون، ولا الخلق وما يصنعون، إنما الرضا كل الرضا لله جل وعلا، فاتجه إلى الله يقول: ((اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني، إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك))، ثم رجع ﷺ إلى داره حزينا يطوي صفحات الألم دون اكتراث، لقد كان رغم هذا الحزن قويا واثقا بالله، حتى جاء النداء من الله الرحيم أن يا محمد إن كان أهل الأرض أدوك وحاربوك، فها هم أهل السماء من ملائكة وأنبياء يستقبلونك ويرحبون بك، وإن كانت الأرض ضاقت عليك بظلمها، فها هي السماء تفتح لك أبوابها.

عباد الله:

لقد تضمنت هذه الحادثة عبرا تسوق للناس جملة من المعاني النبيلة، وتشرح للخلق مقدار العناية الإلهية، التي أرادها الله للإنسان ليعبر إلى بر الأمان، إلى السعادة في الدارين، إلى النجاة والسلامة في الحياتين، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ

الظلمت إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾، ولَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُمْ حَمَلَةَ هَذَا الْوَحْيِ، وَالْمُبَلِّغِينَ عَنِ اللَّهِ مَا يَرْحَمُ بِهِ خَلْقَهُ، وَمَا يُرِيدُ لَهُمْ بِهِ الْيُسْرَ وَالْعَيْشَ الرَّغِيدَ؛ فَإِنَّ حِمَايَةَ الرَّسُولِ وَالِدِّينِ شَيْءٌ تَكْفَّلَ اللَّهُ بِهِ؛ لِيُظَلَّ نُورُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ سَاطِعًا لَا تُكَدِّرُهُ مَكَائِدُ الْخَلْقِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أُسْتَيْسَسَ الرَّسُولُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢﴾.

عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ أَفْصَحَتْ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ عَنِ مَظَاهِرِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ، عِنْدَمَا اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ بَعْدَ شِدَّةِ الْإِيذَاءِ أَنْ يَسْتَرِيحَ مَعَ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، وَأَنْ تَلَامِسَ يَدَهُ أَيْدِي مَنْ قَبْلَهُ، لِيَسْتَمِدَّ مِنْ تِلْكَ الرَّحْلَةِ الْخَالِدَةِ طَاقَةَ أُخْرَى عَلَى مُوَاصَلَةِ الطَّرِيقِ، وَلِيُبَيِّنَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ قَلْبُهُ، وَتَسْكُنُ بِهِ نَفْسُهُ الْمُتَعَبَةُ، وَبِهَذِهِ الرَّحْمَةِ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٣﴾، وَأَنْظُرُوا - عِبَادَ اللَّهِ - كَيْفَ تَجَلَّتْ هَذِهِ الرَّحْمَةُ أَيْضًا فِي نَفْسِيَّةِ هَذَا النَّبِيِّ الْعَظِيمِ، عِنْدَمَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ فُرْصَةٌ إِهْلَاكِ قَوْمِهِ الْمُكَذِّبِينَ، فَفَاضَتْ مِنْ جَوَانِحِ الرَّحْمَةِ فَيَضًا سَجَلِ التَّارِيخِ كَلِمَاتِهَا الْعَذَابِ، عِنْدَمَا أَجَابَ مَلَكَ الْجِبَالِ بِقَوْلِهِ: ((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)). وَهَكَذَا هِيَ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ دَعْوَةُ الرَّحْمَةِ وَالْمَحَبَّةِ، دَعْوَةُ السَّلَامِ وَالْأَمَانِ، دَعْوَةُ تَشْتَهِي لِلنَّاسِ الْخَيْرَ، وَتَنْشُدُ فِي الْحَيَاةِ الْأَمَانَ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا وَاصِفًا نَبِيَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُونَا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿٤﴾.

(١) سورة المائدة / ١٥-١٦ .

(٢) سورة يوسف / ١١٠ .

(٣) سورة التوبة / ١٢٨ .

(٤) سورة آل عمران / ١٥٩ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ، وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ، وَاذْكُرُوا سِيرَةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ ، وَاسْتَلْهِمُوا الْعِظَاتِ مِنَ الْمَوَاقِفِ وَالْأَحْدَاثِ، تَقْلِحُوا وَتَتَجَحَّجُوا.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِي الصَّالِحِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

فِي حَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ عَبْرٌ أُخْرَى، تَجْعَلُ مِنْهَا مُنْطَلَقًا لِمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، وَتَمَحِيصِ الْمَبَادِي وَالشُّعَارَاتِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (١)، وَقَدْ سَجَّلَتْ كُتُبُ السَّيْرَةِ تَرَاجِعًا لِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ أَسْلَمُوا وَلَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، حَيْثُ كَانَتْ دَعَايَةُ الْمُشْرِكِينَ لِلتَّشْكِيكِ فِي صِدْقِ حَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ ذَاتَ أَثَرٍ كَبِيرٍ فِي نَفْسِهِمْ، لَمْ يَسْتَوْعِبُوا مَعَهَا حَجْمَ هَذِهِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَلَمْ تُصَدِّقْ نَفْسُهُمْ هَذَا الْخَبَرَ الْمُنِيرَ، فَاكْفَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، لِيَتَّبِعَ فَقَطْ أَوْلِيَاءَ الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ، ذَلِكَ لِأَنَّ الَّذِينَ يُدْرِكُونَ شَيْئًا مِنْ طَبِيعَةِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَمِنْ طَبِيعَةِ النُّبُوَّةِ لَا يَسْتَغْرِبُونَ فِي الْوَاقِعَةِ شَيْئًا، فَأَمَامَ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ تَتَسَاوَى جَمِيعُ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَبْدُو فِي نَظَرِ الْإِنْسَانِ مُتَفَاوِتَةً السُّهُولَةَ وَالصُّعُوبَةَ، وَأَمَّا طَبِيعَةُ النُّبُوَّةِ فَهِيَ اتِّصَالٌ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ أَوْ عَادَةٍ لِبَقِيَّةِ الْبَشَرِ، وَهَذِهِ التَّجْلِيَّةُ لِمَكَانٍ بَعِيدٍ، أَوْ عَالَمٍ بَعِيدٍ؛ وَالْوُصُولُ إِلَيْهِ بِوَسِيلَةٍ مَعْلُومَةٍ أَوْ مَجْهُولَةٍ لَيْسَتْ أَغْرَبَ مِنَ الْإِتِّصَالِ بِالْمَلَأِ

الأعلى عند المؤمنين، ولذلك كان الإيمان العميق وحده من يُقرُّ بهذه القدرة ويستوعب هذا الأمر من أمثال أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - الذي حمل هذا اللقب بسبب موقفه من هذه الحادثة، تقول عائشة - رضي الله عنها - : لما أُسري بالنبِيِّ ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدثُ الناسَ بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممن كان آمنَ به وصدقَه، وفتنوا بذلك عن دينهم، وسعى رجالٌ من المشركين إلى أبي بكرٍ فقالوا: ((هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ فقال: أوقال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قد قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو صدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس في ليلة، وجاء قبل أن يُصبح؟ قال: نعم، إنني لأصدقُه بما هو أبعد من ذلك؛ أصدقُه بخبر السماء في غدوة أو روحة؛ فلذلك سمي أبو بكر الصديق)).

فانقوا الله - عباد الله -، واستلهموا من هذه الحادثة العبرَ والعظات، واستمدوا من معانيها العظيمة قوة الإيمان وعميق التصديق، فإن الإيمان بالله يقين لا يخالطه شك ولا يشوبه ريب، وقولوا كما قال المؤمنون: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (١).

هذا وصلوا وسلموا على إمام المرسلين، وقائد الغر المحجلين، فقد أمركم الله تعالى بالصلاة والسلام عليه في محكم كتابه حيث قال عز قائلًا عليماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢).

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت وسلمت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين، وعن أزواجه أمهات المؤمنين، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين، وعننا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

(١) سورة البقرة / ٢٨٥ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقَرُّفَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقَرُّفًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالتَّقَىٰ وَالْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تَرْغُ قُلُوبُنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَابْتِغَىٰ لَكُمْ لِعَظْمِكُمْ لِعَظْمِكُمْ تَذَكُّرًا﴾.